جولة سمو ولي العهد
متابعات وقراءات

# جولة سمو ولي العهد والخطاب السياسي المتميز

بقلم: د. خليل بن عبدالله آل خليل

لا شك أن جولة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الدولية التي دار خلالها دورة كاملة حول الأرض واستمرت أكثر من ستة أسابيع زار خلالها سبع دول رئيسة في الشرق والغرب، لاشك أنها جولة تميزت بالكثير من المعاني كما تميزت عن أي زيارات رسمية متبادلة بين الدولة ممثلة في قادتها وزعمائها، وعدد من زعماء العالم. لكن سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز استطاع أن يطبع هذه الجولة وما تخللها من لقاءات وكلمات وخطابات بشخصيته المتسمة بالوضوح والقوة والشجاعة، والافصاح عن آرائه دون مواربة أو تردد.

وقد سبق لي أن كتبت مقالة في إحدى الصحف في منتصف جولة سمو ولي العهد تحدثت فيها عما تطرق إليه سموه حول الإرهاب وربطه بالإسلام بمناسبة وبدون مناسبة.

فلقد أوضح سموه أن الربط بين الاسلام والإرهاب «يغيظنا» و«يؤلمنا»، ودعا من عاصمة الصين بكين الصحافة في كل مكان لأن تتجنب الخلط بين «الاسلام» و«الإرهاب» في تعليقاتها عندما تُستهدف سفارة غربية هنا أو هناك، أو تُهدَّد مصالح أو أفراد من قبل بعض المنتسبين للإسلام.

صدق سمو ولي العهد القائد الصادق الذي أخذ على عاتقه حمل هموم الأمة العربية والاسلامية في لندن وباريس وواشنطن وبكين وسيئول وطوكيو وإسلام أباد وإلى كل مكان وطئته قدماه في جولته الميمونة، في ظروف ثقافية وسياسية واقتصادية دولية صعبة.

إن المتتبع للقاءاته وتوجهاته - أثناء هذه الجولة - يلمح فيها الهمة العالية التي لا تعرف المصاعب، والقلب الكبير النقي الذي يسع الجميع، والنظرة الثاقبة التي تخترق الرسميات والادعاءات، والصراحة التامة التي تفتح العيون وتثلج الصدور، والوضوح الناصع الذي لم يُعهد في الساسة وفي دهاليز الدبلوماسية، فقد بلور سموه خطاباً سياسياً متميزاً ..استطاع من خلاله أن يبرز رؤية سياسية واستراتيجية مؤثرة ومقنعة، وقادرة على إيجاد مناخ للحوار والاستماع من لدن الآخرين إلى ما يطرح من قضايا وقناعات.

فهنيئاً لحضارة يحمل همومها ويدافع عن مبادئها أمثاله، وهنيئاً لشعب يمثله سموه، ويعبر عن مكنوناته، وهنيئاً لوطن يقوم على قيادته أمثال سموه، ساعداً أيمن لخادم الحرمين الشريفين القائد الفذ الذي وهب حياته ونفسه وطاقاته للعمل من أجل الإسلام، ومن أجل هذا الوطن العزيز.

إن هذه الجولة.. وما تمخضت عنه من نتائج مباشرة وغير مباشرة.. آنية وبعيدة المدى.. وما تحمله من مضامين كثيرة ومتعددة.. لا شك في أنها سوف تكون معينا للدارسين والباحثين والمحللين على التعرف أكثر وأكثر على توجهات الاستراتيجية السعودية المستقبلية.. وهي تؤكد النهج الواضح والمحدد للسياسة السعودية تجاه قضايا أساسية تشغل الساحة العالمية.. حيث أخذت الجولة جوانب أو لنقل هدفت إلى أهداف أساسية ثلاثة:

- تعزيز العلاقات الثنائية بين المملكة وكل دولة من هذه الدول وتطويرها وفتح آفاق جديدة في إطارها.

- الدفاع عن القضايا العربية والاسلامية.. وأهمها قضية المسلمين الأولى في فلسطين.. القدس وقضية السلام.

- حقيقة مبادئ الاسلام الحنيف.. والدفاع عنه.. وشرح الرؤية الواضحة للمسلمين تجاه العديد من القضايا التي تثار حوله.. خاصة ربط الإرهاب بالإسلام.. والتفكير بكونه خطراً على الغرب أو الشرق.

وقد أعطى صاحب السمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز هذه النقطة بالذات جل همه واهتمامه، نظرا لأنها متعلقة بعقيدة هذه الأمة ودينها.. ونظرا للخطأ الفاحش الذي يقع فيه الاعلام الغربي عندما يتحدث حول علاقة الارهاب بالدين. فخصها سموه بحديثه في كل مناسبة وكان جليا قويا واضحا فيها كل الوضوح.

إن الاسلام بعقيدته الناصعة وشريعته السمحة وآدابه المباركة يحرم القتل، والافساد، والإيذاء، والترويع، والتخريب، كما أنه يوجب الصدق في القول والعمل، والوفاء مع القريب والبعيد، واحترام الأموال والأعراض والأرواح، سواء مع المسلمين أو مع غير المسلمين، فـ

**• سمو ولي العهد عبر بقوة ووضوح عما يختلج في نفوس المسلمين والمنصفين بشأن خطر حملات التشويه والتشويش التي ربطت بين الإسلام والإرهاب.**

**• الإسلام كما تراه القيادة السعودية وتطبقه هو دين السعادة والكرامة ودين العدل والحضارة والتعايش السلمي.**

«الأمكنة» و«الأزمنة» لا تحدد أخلاق المسلمين ولا تغيرها. وما يتعرض له الإسلام في الكثير من وسائل الإعلام شرقاً وغرباً من تشويه باسم محاربة الارهاب يدعو إلى الوقوف والتأمل، لأنه كما ذكر سمو ولي العهد «يمس قلب كل مسلم» باعتبار الإسلام أغلى على المسلم من حياته وأمواله وأولاده.

ولقد أوغلت وسائل الاعلام في «التحريش» و«التشويش» عندما اعتبرت الاسلام الخطر على الغرب بعد سقوط الشيوعية، مما يوجب توجيه قوات الأحلاف العسكرية لمحاربة ذلك الخطر.

أصبح الاسلام هدفا سهلا مستساغاً، فمنعت الطالبات من الحجاب في فرنسا، واتُّهم المسلمون في حادث تفجير مبنى الحكومة الفدرالية في ولاية اكلاهوما بالولايات المتحدة الامريكية، واستهدفت المساجد والمدارس في بعض الدول الغربية بحجة أنها أوكار للمتطرفين، ووصف تطبيق «الحدود» في الاسلام بالوحشية، وأثير الرعب عند الغربيين مما يسمى بـ «القنبلة الذرية الاسلامية» وما يسمى بـ «الإرهاب الاسلامي».

لقد رُسمت صورة نمطية مقلقة باهتة منفرة عن الإسلام الذي يدين به أكثر من مليار إنسان، وتاريخه مشرف في خدمة الانسان والرقي بمستوى معيشته منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

لقد عبر سمو ولي العهد بقوة ووضوح عما يختلج في نفوس المسلمين والمنصفين بشأن خطر حملات التشويه والتشويش التي ربطت بين الاسلام والارهاب.

كما أنه دعا المسلمين لأن يقدروا مسؤولياتهم وان يحترموا عقول الآخرين بقوله «علينا في العالم العربي والاسلامي أن نقدر من نحن حتى يقدرنا ويحترمنا الغير»، إنها كلمات معدودة إلا أنها عظيمة الدلالة، لأنها انطلقت من رجل قيادي عرفه كل من تعامل معه بالمصداقية وإيثار المصالح العامة. الحق أن الاسلام دين الوئام والسلام {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله} والاسلام دين الحب والرحمة {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}، والاسلام دين التعددية {لا إكراه في الدين}.

لم يُرهب المسلمون أحداً، ولم يمارسوا الإرهاب مع أحد يوم كانوا فاتحين منتصرين، فكيف بهم وهم منقسمون متناثرون؟! وكان المضطهدون من أهل الديانات الأخرى عبر عواصم الحضارة الإسلامية يتبعون المسلمين أينما ذهبوا ليعيشوا في احترام وأمان وسلام.

ونعود بالذاكرة إلى ما لقيه مسيحيو بيزنطة من المسيحيين في الكنيسة الغربية في روما يوم اكتسحوا القسطنطينية وأرهبوا إخوانهم المسيحيين من أتباع الكنيسة الشرقية، ووصلت الدماء إلى الركب، وقتلوا الرهبان والقسس مما جعلهم يرفعون شعار «عمامة الشيخ ولا قبعة الكاردينال»، لأن المسلمين لما فتحوا القسطنطينية على يد محمد الفاتح أمّنوا الناس

جولة سمو ولي العهد
متابعات وقراءات

في مالهم وعرضهم ودينهم، وتحولت القسطنطينية بذلك إلى مركز من مراكز الحضارات العظيمة حتى الآن.

ولهذا بقيت الأقليات اليهودية والمسيحية في الأوطان الاسلامية مع تعاقب عهود الحكم الاسلامي إلى اليوم في مصر وفي الشام وفي المغرب العربي وفي تركيا وغيرها من البقاع والأمصار، بقيت محافظة على مجتمعها، وعلى دينها، ومتعايشة مع المجتمع الاسلامي الذي أمّنها وحفظ حقوقها.

ولو راجعنا تاريخ البشرية لوجدنا أن الديانة التوحيدية لـ «اخناتون» (١٣٦٩ ـ ١٣٥٣هـ) دمرت معابد «آمون» واضطهدت الكهنة والأتباع في مصر، ولما انتصرت «الأمونية» طاردت «الأخناتونية» واجتثتها من على وجه الأرض، وفي الغرب فرض شارلمان (٧٤٢ ـ ٨١٤م) النصرانية على السكسونيين بحد السيف، وفي روسيا فرض فالديمير (Valdimir) عام ٩٨٨م النصرانية على كل الروس بجميع طبقاتهم، وفي الحبشة اشهر الملك سيف أرعد (١٣٤٢ ـ ١٣٧٠هـ) السيوف على كل من أبى الدخول في النصرانية.

وهكذا فإن الرعونة والإرهاب والغطرسة والإكراه الديني شرقاً وغرباً، قبل الإسلام وبعده، كانت من ممارسات الحضارات الأخرى، وما يحدثنا به التاريخ عن الاندلس كاف في إيضاح ذلك، وما ينطق به الحاضر عن البوسنة والهرسك وكوسوفو أيضا خير شاهد على ذلك، أما الاسلام فإنه قرر «الأمان الديني» وقرر «حرية الاختيار» للآخرين يوم كان منتصرا عسكريا وحضاريا في مصر على يد الفاتح عمرو بن العاص (٥٧٤ ـ ٦٦٤م)، فعاد الأقباط من الصحارى والمغارات إلى كنائسهم التي اغتصبت منهم قبل الفتح.

كذلك يوم كان منتصرا في القدس التي تسلم مفاتيحها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ويوم حكم المسلمون الشام والأندلس وأوساط آسيا... لم يرهبوا أحداً، وكانوا مجاهدين منتصرين التزموا بأحكام الجهاد التي توجب طلب الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب التي كانت تهدف إلى ضمان حرية نشر الدعوة، وليس إلى القتل وإرغام الناس على الدخول في الإسلام، فلم يكونوا مخولين لأن يرهبوا أحداً بعد النصر، لأن أحكام الجهاد تفرض ألا يقتلوا أسيراً ولا طفلاً ولا شيخاً، وألا يقطعوا شجرا، وألا يفسدوا في الأرض، بمعنى: لا إرهاب، ولا قتل، ولا إفساد، ولا استباحة لأعراض أو أموال، وهذا هو الإسلام الحق الذي أنزله الله رحمة للعالمين، وهو ما اعتز به قادة هذه الدولة منذ فجر تاريخها، ونافح عنه القائد الصادق والمسلم الغيور عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.

لقد أوضح سموه من خلال أحاديثه العفوية النابعة من القلب، أوضح حقيقة قد تغيب عن أذهان الكثير من إخواننا العرب والمسلمين، وهي «الثروة الحقيقية» حسب مفهوم القيادة السعودية التي تفردت عن غيرها بهذا المفهوم، إنها من كلماته التي خرجت من فمه عندما قال:

«عندنا شيء أهم من البترول وأعز من البترول وهو بيت الله الحرام في مكة المكرمة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، هذه أعز عندنا من البترول وغير البترول»، هذه هي الثروة الوطنية التي يعتز بها الكيان العربي المسلم، ويُسخِّر كل ما أوتي من ثروات أخرى بشرية أو نفطية لخدمتها والحفاظ عليها من عبث العابثين، وكيد الماكرين، واستغلال المغرضين». كما أن سموه ركز على بحث قضايا العرب والمسلمين قبل «القضايا السعودية» باعتبار ذلك مبدأ أساسياً للسياسة السعودية منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ولو أخذنا على سبيل المثال العلاقة السعودية ـ الأمريكية لوجدنا أنه لا خلاف ولا توتر في العلاقات بين الدولتين سوى فيما يخص النظرة للقضايا العربية الاسلامية التي يأتي في طليعتها قضية فلسطين والقدس وكشمير والبوسنة والهرسك. لذا، نفخر ـ ويحق لنا أن نفخر ـ بالنجاح الذي أحرزته جولة سموه في

مضمار كسب «التعاطف» للقضايا المحورية الساخنة وصنع المناخ الذي ينتج «الفهم» السليم لقضايا منطقتنا وأمتنا.

الباكستان هي الدولة المسلمة الوحيدة التي شملتها الجولة وهي تحمل للمملكة مشاعر الحب والاحترام، والقيادة السعودية تبادلها تلك المشاعر، وقد بلورها الأمير عبدالله بتحديد أساس العلاقات مع الباكتسان: ألا وهو «الأخوة الاسلامية» وأيد - بوضوح - الخطوات التي اتخذتها الباكستان نحو تطبيق الشريعة، فالمملكة يسرها ازدياد عدد الدول الاسلامية التي تحكم بالشريعة الاسلامية الغراء على الوجه الصحيح.. لما لذلك من آثار «إيجابية» على حياة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها.

فالاسلام - كما تراه القيادة السعودية وتطبقه - هو دين السعادة والكرامة، ودين العدل والسماحة، ودين الحب والحضارة، ودين التعايش والسلام، ولعل التجربة السعودية في مجال تحكيم الشريعة هي النموذج المحسوس والناجح في القرن العشرين.. مؤملين في أن توفق التجربة الباكستانية وتجارب الدول الاسلامية الأخرى الساعية لذلك.

وتفهمت القيادات السياسية والثقافية والاعلامية الشرقية والغربية قضايا العرب والمسلمين الساخنة، واغتبطت الدول والشعوب والاقليات المسلمة من «منافحة» الأمير عبد الله عن قضاياها وعن «شعاراتها» وعن «شعائرها» وعن «حقوقها» وعن «مكتسباتها».

حمل الأمير عبدالله للغرب وللشرق هموم العرب والمسلمين المؤرقة، واهتماماتهم الضخمة، بصدق وإخلاص وتحمل، مع اعتزاز وتفاؤل وتقبل، وكان لسموه الكريم - بفضل الله وتوفيقه - التصديق والقبول على الصعيدين الداخلي والخارجي، لقد كان - بحق كما كان دائما - جديرا بحمل الرسالة، وأداء الأمانة، وتبليغ الرسالة، مضيفا لإنجازات هذه البلاد إنجازات يسجلها التاريخ بمداد من نور، مقدماً لنا ولكل المتابعين، خطاباً سياسياً متميزاً، يقوم على الوضوح والصراحة والحوار والثقة بالله أولاً، ثم بالنفس وبالنهج القويم للسياسة السعودية.

## من أقوال سمو ولي العهد خلال جولته العالمية

«أنا أتحدث باسم أخي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - أيده الله - الذي نذر نفسه بأن يكون خادما للحرمين الشريفين وللأمتين العربية والاسلامية، نذر نفسه لقضاياها ومدافعاً عن مصالحها خادماً لا ملكاً، فنحن جميعاً على هذا الطريق منذ عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - حتى عهد أبنائه من بعده، وهذا مبدأ ومنهج لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نزيح عنه أبداً مهما كان ومهما قيل ومهما تعرضنا في سبيله». (بريطانيا)

«إنني قد أفهمت المسؤولين في الحكومة الأمريكية أن ما يقال الآن أن السلام خاص بالعرب ليس صحيحا بل العكس السلام لاسرائيل أكثر مما هو للعرب. دعونا ننظر للواقع، نحن نعرف قوة اسرائيل والمساعدات التي تأتيها من الغير وهذا مفهوم، ولكن إلى متى؟ عشر سنين عشرون سنة ثلاثون سنة خمسون سنة مائة سنة.. الخاتمة ان شاء الله للعرب» (أمريكا)